الفصل التاسع
الشهيد المجاهد عمر المختار
مَثَلٌ بديعٌ فى الجهَاد كريم

● فى مثل الزعيم الشهيد عمر المختار يصدق قول أديب العربية وداعية الحرية الشيخ عبد الرحمن الكواكبى إذ يقول: «ما بال الزمان يضن علينا برجال ينبهون الناس، ويرفعون الالتباس، ويفكرون بحزم ويعملون بعزم، ولا ينفكون حتى ينالوا ما يقصدون».

– والزعيم عمر المختار مثال بديعٌ فى كوكبة المجاهدين، بلغ ذُرا المجد والكمال والكرم، إذْ نهض لقيادة شعبه وأبناء وطنه فى مواجهة المحتل الباغى والغازى المغتصب الذى اجتاح البلاد بغيا وعدوانًا، وعمد إلى استغلال خيرها واستعباد أهلها، ومن ثمَّ كان وقوف أبناء البلاد بقياد الزعيم عمر المختار عملا مشروعًا وجهادًا نبيلاً ونبراسًا هاديًا للشعوب المقهورة والمستغلة؛ بالمواجهة المقدسة والتصدى لقوى البغى والعدوان بكل الوسائل المتاحة فى جهاد شريف وكفاح نبيل حتى النصر أو الشهادة.

– ولقد جاهد عمر المختار الأعداء الغُزاة جهادًا عبقريًا، كان فيه مثالاً للمجاهد الشريف والفارس النبيل حتى انتزع التقدير والإعجاب من فم أعداء الوطن والدين انتزاعا، وواصل جهاده حتى بلغ ذروة الشجاعة والكرم فنال الشهادة راضيا مرضيًا بعد مقاومة بطولية كان فيها جوادًا وشهمًا نبيلا، لم يُداهن أو يُساوم على حساب مصالح وطنه وأمانيه المشروعة فى الحق والعدل والاستقلال والحرية، ولم يُغره مال أو جاه، وبقيَ على إرادته تلك حتى أتاه اليقين، ولقى ربه غير مضيع ولا مفرط، فبقى لأهله وأمته مثالاً عبقريا لكوكبة القادة المجاهدين والأبطال الميامين، وبقى ذكره نورا يستضاء به، ونارًا تحرق أطماع المتربصين بالدين والأرض والعرض.

● وما أحوج أمتنا فى هذه الحقبة السَّوداء من تاريخها لاستنهاض الهمم وتفجير الطاقات الكامنة فى البلاد والعباد؛ لمواجهة الهيمنة الصهيو أمريكية فى أوطان العروبة والإسلام، ولا يكون ذلك إلا برجال ممن يضن الزمان علينا بهم ممن « ينبهون الناس، ويرفعون الالتباس، ويفكرون بعزم، ويعملون بعزم، ولا ينفكون حتى ينالوا ما يقصدون » كما قال الكواكبى فى عبارته التى زينا بها صدر هذه المقالة.

– من أجل هذا فإن أمتنا العربية والإسلامية لفى أمسِّ الحاجة لهذا الصنف من الرجال، وذلك الطراز من القادة للسير على نهج النبى القائد والمعلم ﷺ وتلاميذه المباركين كسعد بن أبى وقاص وأبى عبيدة عامر بن الجراح وسيف الله المسلول خالد بن الوليد، ومن حذا حذوهم من القادة كصلاح الدين الأيوبى والملك المظفر سيف الدين قطز ومحمد الفاتح صاحب فتح القسطنطينية العظيم، ومن بعدهم المجاهد عمر المختار والأمير عبد القادر الجزائرى والزعيم مصطفى كامل ورفيق دربه محمد فريد وغيرهم وغيرهم فى قافلة القادة المظفرين على امتداد الوطن العربى الكبير والأمة الإسلامية من المحيط إلى المحيط، أولئك النفر الذين يجود الزمان بهم فى مراحل التحول التاريخية، التى يسعى فيها الأعداء لتوجيه ضربتهم القاضية لأمة العرب والمسلمين، فإذا آمالهم تخيب، ومساعيهم تبوء بالفشل، إذْ يُقيض الله للأمة وأوطانها مَنْ يلمُّ شعثها، ويوحد طاقاتها، ويبعث فيها الأمل والعزم والإرادة السياسية الفاعلة، وفى مثله يصدق قول الشاعر:

لهٌ هممٌ لا مُنتهى لكبارها وهمته الصغرى أجلُّ من الدهر

– وإن أمتنا قد تمرض، ولكنها لا تموت وسرعان ما تتماثل للشفاء، وكم من مواقف مرت بها عَبْرَ تاريخها أعدّ لها الأعداء أكفانها وحفروا لها قبورها، ولكن ما لبثت أن نهضت من عثرتها، وأفاقت من غفوتها، فاستحال ضعفها قوة وتفرقها وحدةً وضلالها رشاداً، فنصرها الله تعالى وأيدها بروح منه، فهزمت

أعداءها واستعادت رشدها وتملكت زمام القيادة والتوجيه لخير حضارة شهدتها مسيرة البشرية فى تاريخها الطويل، حضارة العلم الإيمانية والتوحيد الخالص والإنسانية الحقة.

– ولقد حدث لأمتنا مثل هذا الابتلاء ونزل بها مثل هذا البلاء فى غزوة الأحزاب وفى حُنين ومؤته وتبوك، وفى حروب المرتدين ومع الصليبين القدامى والجدد، وفى ظل الاجتياح المغولى، ويبقى التحدى الصهيو – أمريكى، والذى هو أثر من آثار اتفاقية (سايكس – بيكو) ونتاج مساعى عميل المخابرات الإنكليزية لورانس فى بدايات هذا القرن العشرين الميلادى.

● ويبقى أمامنا تحدى الجهل والتخلف والتشرذم، فضلاً عن تحدى الاحتلال الصهيو – أمريكى لفلسطين وهو فى الحقيقة احتلال وغزو أوربى صليبى فى ثياب صهيونية، تواطأ فيه الغرب الأوربى مع دعاة الفكرة الصهيونية لزرع الكيان الصهيونى فى فلسطين باسم إسرائيل؛ لطعن آمال الأمة العربية والإسلامية فى النهضة والتوحيد والتوحد، والقضاء على طموحها المشروع فى الاضطلاع بدورها فى القيادة العالمية وبناء الحضارة الإنسانية المعاصرة، وضمان تخلفها وعجزها وبقائها فى دائرة نفوذ السيد المستعمر الجديد، لا تقطع أمراً دونه، ولا تخرج على وصايته المقنعة وإلا فالويل والثبور لمن يزعج أحلامه وطموحاته فى الهيمنة والسيطرة والسعى لتحويل العرب والمسلمين إلى هنود حمر وإلا فالمواجهة والحصار وحرب الإبادة كما هو ماثل للعيان فى غير مكان.

● وإنى لأشكر لأستاذنا الشاعر العربى الليبى الكبير والناقد الأدبى القدير الدكتور محمد حامد الحضيرى الأستاذ بكلية الآداب ببنغازى دعوته لصاحب هذه المقالة وسط كوكبة الأدباء الأفاضل والشعراء الأماثل للاحتفاء بالذكرى المتجددة للزعيم المجاهد والشهيد الحىّ عمر المختار – رحمه الله ورضى عنه، وأنزله منازل الصديقين والأبرار مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

* * *